على الغنيمة وذلك قوله تعالى انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا وذلك لمخالفتهم النبي صلى الله عليه
وسلم وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما صف المسلمين باحد جعل على الرماة وهم
خمسون رجلا عبد الله بن جبير وقال ان رايتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم حتى ارسل
اليكم وان رايتمونا هزمنا القوم واوطاناهم فلا تبرحوا حتى ارسل اليكم كذا في البخاري من
حديث البراء وفي حديث ابن عباس عند احمد والطبراني والحاكم انه صلى الله عليه وسلم
اقامهم في موضع ثم قال احموا ظهورنا فان رايتمونا نقتل فلا تنصرونا وان رايتمونا قد غنمنا
فلا تشركونا ولما حصل القتال بين المسلمين والمشركين انزل الله نصره على المسلمين فحسوا
الكفار بالسيوف حتى كشفوهم عن العسكر وكانت الهزيمة فولى الكفار ونساؤهم يدعون
بالويل وتبعهم المسلمون حتى اجهضوهم ووقعوا ينهبون العسكر وياخذون ما فيه من الغنائم
قال البراء كما في صحيح البخاري فقال اصحاب عبد الله بن جبير اي قوم الغنيمة ظهر اصحابكم فما
تنتظرون فقال عبد الله بن جبير انسيتم ما قال لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا والله
لناتين الناس فلنصيبن من الغنيمة فلما اتوهم صرفت وجوههم فاقبلوا منهزمين انتهى
معنى قوله تعالى بما كسبوا وقال الحسن هو قبولهم من الشيطان ما وسوس اليهم في الهزيمة وعلى كل
حال فقد عفا الله عنهم لتوبتهم واعتذارهم كما قال تعالى ولقد عفا الله عنهم ان الله غفور رحيم
ومن عفا الله عنه لا يكون محلا للطعن اصلا ثم نهى الله المؤمنين ان يكونوا كالمنافقين
عبد الله بن ابي واصحابه فقال يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم
اي في النسب اذا ضربوا في الارض اي سافروا فيها للتجارة او غيرها او كانوا غزى اي غزاة جمع
غاز فقتلوا لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم واللام
للعاقبة اي لا تكونوا مثلهم في النطق بذلك القول والاعتقاد ليجعله حسرة في قلوبهم
خاصة ففي هذه الاية ذم للمنافقين ونهي للمؤمنين عن ان يكونوا مثلهم ثم اخبر الله تعالى
بما لهم عنده لو قتلوا او ماتوا فقال ولئن قتلتم في سبيل الله او متم اي في سبيله لمغفرة من الله
في

في العاقبة ورحمة خير مما يجمعون من الغنائم ثم قال ولئن متم او قتلتم اي على اي وجه اتفق
ذلك لالى الله تحشرون اي لا الى غيره واذا حشرتم اليه فهو الذي يريه جزاءكم ويعظم ثوابكم
ثم خاطب رسوله فقال فبما رحمة من الله لنت لهم اي فبرحمة من الله سهلت لهم اخلاقك
وكثر احتمالك ولم تسرع اليهم فيما صدر منهم من الهزيمة يوم احد ولو كنت فظا اي جافيا
سيئ الخلق قليل الاحتمال غليظ القلب اي قاسيه لانفضوا من حولك اي لتفرقوا عنك
ثم امر نبيه بان يتجاوز عنهم فيما فعلوا يوم احد فقال فاعف عنهم فيما يختص بك واستغفر
لهم الله حتى اشفعك فيهم وفي ذلك اشارة الى كمال رحمة الله تعالى بالمهاجرين والانصار
كانه قال يا محمد استغفر لهم فاني غفرت لهم قبل ان تستغفر لهم فاعف عنهم فاني قد عفوت عنهم
قبل عفوك ثم امره بان يستخرج اراءهم ويعلم ما عندهم بقوله وشاورهم في الامر اي في امر الحرب
اذ الكلام فيه وانما امره بمشاورتهم مع كمال عقله وجزالة رايه ونزول الوحي اليه ووجوب
طاعته على الخلق تطييبا لقلوبهم وهذه من ابلغ ما يدل على ثناء الله على الصحابة والزام
رسوله بان يحسن لهم خلقه ويعفو عن سيئهم ويستغفر الله لهم واذا حصل الامر يستشيرهم فيه
وقد امتثل النبي ذلك حتى روى الزهري عن عروة عن عائشة انها قالت ما رايت رجلا اكثر
استشارة للرجال من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقول المؤلف فانظر الى قوله سبحانه الى
جاهل بما حققناه من ان ذلك ليس في جميع الازمنة بل في حالة هزيمتهم يوم احد التي تسببت
عن مخالفتهم وصية الرسول صلى الله عليه وسلم لما اوصاهم بان لا يبرحوا مكانه ولا فقد صدر
من الرسول على كثير منهم غضب وغلظة في كثير من المواضع بسبب امور دينية ولا يزيدهم ذلك الا
محبة للرسول واتباعا له وذلك ظاهر لمن عرف احوالهم سالكا سبيل الانصاف مجتنبا
طريق الاعتساف ولنذكر شاهدا على ما قلنا قصة كعب بن مالك ومرارة بن الربيع
وهلال بن امية لما تخلفوا عن غزوة تبوك مع من تخلف عنها فغضب عليهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم ونهى عن كلامهم فتخلف عنهم الناس واجتنبوهم وتغيروا لهم ولم يكلمهم احد

Copyright © King Saud University